كتاب القربة

انشاء الشيخ الامام العالم المحقق المتبحر
ابى عبد الله محمد بن على بن محمد بن
عربى الطائى الحاتمى
المتوفى سنة ٦٣٨ هـ
ختم الله له بالحسنى

الطبعة الاولى

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية
حيدرآباد الدكن لازالت شموس افاداتها بازغة
وبدور افاضاتها طالعة الى آخر الزمن
سنة ١٣٦٢ من الهجرة
النبوية عليه الف
سلام وتحية.

بسم الله الرحمن الرحيم

و به الحول و القوة

الحمد لله مخصص من شاء من عباده بخصائص علوم الالهام والمتجلى لهم فى كل مشهد و موقف بحضرة الجلال والاكرام، والمسدى اليهم عوارف الآلاء و لطائف الانعام، و مصرفهم فى لطائف عوالم الارواح وكثائف الاجسام، بفنون التصرفات الالٰهية وضروب الاحكام، ومقيمهم سبحانه على ما صرفهم فيه بين النقض و الابرام، فابرموا من الامر ما كان منقوضا ما له من نظام، ونقضوا منه ما كان مبرما محكم الابرام والالتحام، فصارت الكلمة عربية عرباء ذات سداد وقوام، بعد ما كانت اعجمية خرساء ذات عوج و ميل ما له من قيام. فقربت مأخذها على اهل البصائر و الأفهام، و تسهل منها ما كان يتعسر عند الافهام وانتقلت الى مقام الايضاح من مقام الابهام، اكرم به من موقف عال و اعزز به من مقام مؤيدهم سبحانه (فى احوالهم-١) بالشواهد العزية القهرية القائمة الاعلام. فهم المتبرزون المقامات المحمدية الجسام، المقول عليها بلسان القرآن يا اهل يثرب لا مقام لكم فى صدر تشريف فارجعوا رحمكم الله (٢) الى مناهج الارشاد و الاعلام فانتم الملائكة البررة المشهودون فى صور البشرية و انتم السفرة الكرام. و هم الطاهرون بنعوت العز الاحمى عند

(١) من ر (٢) فى ر « يرجعكم الله ».

المبعوث بالتقريب والمخصوص بالكلام ، المظهرون عيون الحقائق ، و امتداد الرقائق بفنون دقائق المعارف فى موارد العقول و مصادر الاوهام . الادباء عند نسبة الافعال الى حضرة العلى الخلاق العلام لما تقتضيه الافعال من الممادح الوضعية و المذام ، فمنها ما هو خالص فى باب الذم تام ، كخرق السفينة (فاردت ان اعيبها) و لم يقل فاردت ان اخلصها ، و اذا مرضت بتحكم سلطان الاوجاع و الآلام ، و منها ما هو مشترك بما تعطيه قضية الالزام ، كالمسئلة المعروفة من قتل صاحب موسى عليهما السلام للغلام ، و منها ما هو خالص للمدح كقوله (فهو يشفين) و اقامة جدار كنز الايتام ، فهم المتنزهون البرآء من تعدى الحدود الالٰهيـة و ارتكاب الآثـام ، الموصوفون بالغيرة على الاسرار فهم اهل الستر و الاكتتام ، وهم الموسومون بالسطوة على الجبابرة العظام ، لما خصهم به سبحانه عند التجلى الذاتى بمنزل السلام ، الموصوفة ذواتهم فى مقاصيرهم العزة فهن الحور المقصورات فى الخيام ، و لما كانوا على بينة من ربهم و تلاهم شاهد منهم رفعهم به الى ما تعطيه واجبات الاحسانين الايمـان و الاسلام ، و ايدهم بالقوة الالٰهية فمكنهم من الستر على عيون الانام بل على عيون الليالى و الايام ، و ان كان قد خرج لهم التشريف بقدم محمد صلى الله عليه و سلم دون سائر الاقدام فما منعهم عن ما ذكرنا من الهجوم والاقدام ، لكن زادهم قوة الى قوتهم فى مواطن الاقحام والاحجام ، فهم الافراد الذين لا يعرفهم الابدال و لايشهدهم الاوتاد و لا يحكم عليهم الغوث و القطب و الامام وصلى الله على من هذه كلها بعض انواره الساطعة المخصوص بالوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة والمحامید المكتومة بالمقام المحمود وحالة الكمال والتمام ، وعلى آله ما تاقت نفوس العلماء بالله وهم فى قصورهم الى الظلل من الغمام ، لا ما لاح نجم و ناح حمام ، فانها حالة لها انقضاء و انصرام ، و غرض العارفين ما يعطيه البقاء و يشهد له الدوام ، و سلم تسليما كثيرا .

اما بعد فلن الحقيقة العامة اذا تحكم سلطانها فى العبد الكلى وبدت دلالاتها على شاهده وظهرت آياتها و عجائبها على ظاهره شهد كل صديق من حيث صديقيته بزندقته و كذلك الامام صاحب النفوذ و الاحكام، وذلك انه اخذ من وجه الحق الذى منه ينظر الى مبدعه وموجده ولذلك سموا افرادا اى ليس لهم حكم العموم و لكن من هذا مقامه له قوة التستر عن اعين الخلق حتى لايتسلط الخلق على فساد بنيته، و منهم من له هذا المقام ولكن اعطى من القوة ما يحمله و لا تظهر احكامه عليه كابى بكر الصديق و غيره و لكن له مواطن يظهر فيها سلطان هذا المقام بحيث لا يشهد عليه لسان الانكار الا بغفلة ونسيان من المنكر ثم يرجع الى حضوره مع علمه بهذا الموطن فيقوله بالحق وان كان لايعطيه شرعه كقصة موسى والخضر عليهما السلام وكقول عمر رضى الله عنه «فما هو الا أن رأيت ان الله قد شرح صدر ابى بكر للقتال فعرفت انه الحق» ومن هذا المقام قابل ومن هذا المقام حكم المجتهدين من علماء الاسلام اذا اجتهدوا يلوح لهم منه تجليات يعرفون بها الاحكام بتعريفها و لايعرفونها فينسبونها الى نظرهم بجهلهم بهذه المرتبة ثم اذا رأوها على من ليس بمجتهد وهو يحكم وقد اخذ ذلك بعينه من غير طريقة الاجتهاد المعلوم واختلفت الطريق واتحد الحكم افتوا بقتله و شهدوا بزندقته و قالوا هذا لا يجوز ولايحل و لو قيل لهم هذه الشروط التى وضعتموها للمجتهد فى دين الله هل هى وضعكم او نقلتموها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فان كانت عن وضعكم فلا كرامة لكم وان كنتم نقلتموها عن الكتاب والسنة والاجماع على قول من يقول بها فهاتوا الدليل.

فان قالوا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كل مجتهد مصيب و اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله اجر و اذا اصاب فله اجران، قلنا صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم و فهمتم مقالته لا غير نحن ما اعترضنا عليكم فى المجتهد و انما كلامنا فى شروط المجتهد من نصبها لكم و سلمنا ان ما

اشترطتموه فى المجتهد فلنطالبكم بماذا حصرتم وجوه الاجتهاد فى ذلك ثم نقول ذلك شروط المجتهد النقلى و للاجتهاد طريقة اخرى و هى تصفية النفس و تزكيتها و تحليتها بالحق الحميدة و تخلقها بالخلق الربانية و تهيؤها و استعدادها لقبول العلوم من الله فاذا صفى المحل بهذا النوع من التصفية لاح له علم الحق فى مسألة من مسائل الأحكام مثل ما لاح للمجتهد عندكم فاختلف الطريقان واتحد الحكم فبأى وجه اخذتموه من الشافعى و لم تأخذوه مثلا من شيبان الراعى صاحبه و العلم لله ليس لكم و انما لكم الاجتهاد و النظر و يخلق الله (العلم عنده - ١) عقيبه ان كان فى المعقولات والحكم ان كان فى الظنيات كذلك صاحبنا له (الاجتهاد فى - ١) التصفية والتهيؤ بالفقر و اللجأ الى الله تعالى وصدق العزم فى الأخذ و عدم الاتكال على قوته وحوله فيخلق الله العلم عنده عقيب هذا الفعل مثلكم فهل هذا إلا تعصب منكم ثم انكم لو أنصفتم فيما انتم بسبيله و تنظرون فيما اتى به هذا الحاكم العلمى هل قال به احد من المجتهدين المتقدمين و لو انفرد به واحد منه ربما وجدتموه ثم اذا وجدتموه صار حقا عندكم بعد ما كان باطلا و فسقا وما شهد لكم بعصمة ذلك الذى استندتم اليه؟ و غايتكم ان تقولوا اجتهادنا ادانا الى تصديق ذلك و تكذيب هذا و هو محل النزاع فالله يعفو عنا و عنكم و لقد ورد حديث مسند و ان لم يكن اسناده بذلك القائم ان النبى صلى الله عليه و سلم امر ان يجعل الحكم اذا لم يوجد له دليل شورى بين الصالحين فما حكموا به قبل، و لكن لسنا ممن يتعرض للاحتجاج بمثل هذه الاخبار التى لم يقم اسنادها على ساق يقربه الخصم ولا بما يحتمل التأويل و شبه ذلك بل ما يعطى طريقنا مخاصمتكم و انما اوردنا هذا تنبيها لغافلكم عسى ينصف و يرجع فان الغالب علينا و ما يعطيه حال هؤلاء الأفراد ترك التحكم فى العالم بالصورة الظاهرة لكن لهم الهمم فان المراد من القبول الذى يفتى

(١) من ر .

المجتهد بقتله من كونه على حاله و يعطى ذلك فى الشرع و لكن يمنع من قتله عزه و سلطانه فالمجتهد ان يفتى بقتله و لايعظم عليه سلطانه و هذا اقوى ما عند علماء الرسوم و اصحابنا اذا اعطاهم و اوادهم بأن ذلك يجب قتله لم يمنعه منهم سلطانه و لا حصنه احالوا عليه همتهم فعرض له عارض من ذاته او من غيره فقتله فلا يحتاجون مع هذا الى الحكم بما ينكرونه عليهم و يسلمونه لكم، و ان تنبهتم فقد افدناكم و إلى طريق الحق ارشدناكم، و لنرجع الى اصحابنا و لنقل يا اولياءنا يا اصفياءنا الأخفياء الأبرياء الغرباء الذين قصرت بهم الهمم عن هذه المراتب الفردانية انصتوا و إذا انصتم فاستمعوا و إذا سمعتم فعوا و اذا وعيتم فاعملوا و اتكلوا لعلكم تفلحون .

اعلموا ان كثيرا من اهل طريقنا كأبى حامد الغزالى و غيره تخيل انه ليس بين الصديقية و الرسالة مقام و ان من تخطى رقاب الصديقين وقع فى النبوة و بابها مسدود عندنا دوننا فلا سبيل الى تخطيهم لكن لنا المزاحمة معهم فى صفهم هذا غايتنا ، و لسنا نعنى بالصديق ابا بكر و لا عمر و لا احدا رضى الله عنهم فان ابا بكر من جملة احواله كونه صديقا و قد شاركه فى هذا المقام غيره من الصديقين و لذلك قال تعالى (اولئك هم الصديقون) و قد فضل الصديق بسر وقر فى صدره اعطاه الله اياه و شهد له به رسول الله صلى الله عليه و سلم فعندنا بين الصديقية و الرسالة مقام و هذا هو المقام الذى ذكرناه و الذى اقول به انه ليس بين ابى بكر رضى الله عنه و بين النبى صلى الله عليه و سلم رجل و لا نذكر الصديقية فارفع الأولياء ابو بكر رضى الله عنه فاجتهدوا رضى الله عنكم فى تحصيله و أنا انبهكم على العلامات التى تستدلون بها عليه، و ذلك انكم اذا قمتم بشرائط الخلوة كما ذكرناها فى كتاب الخلوة و رفعت لكم اعلام المشاهد و تطعمتموها و شاهدتم و عاينتم و اطلعتم و نزهتم و وقفتم المواقف المقدسة و قبلتم العوارف العرفانية فانتم من اهل الولاية العظمى و الدائرة المحيطة الكبرى لا تتسلطوا

فى

فى التحكم فى العالم بالهمم او بالصورة الظاهرة ان كانت لكم قوة سلطان اصلا لعلو المقام الذى انتم عليه فان الله مستدرجكم فيه من حيث لا تعلمون وقد قال (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، واملى لهم ان كيدى متين) ولم يقل من الدنيا فقد يملى لكم من هذه الصنف فانه سبحانه يملى انه يملى لكل طائفة من حيث ما تشتهيه وتعشق به واستوى فى ذلك أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والاستدراج والمكر لهذه الطائفة اسرع وأنفذ من غيرهم من الطوائف فالله الله لا تنفذوا حكما ولا تتعدوا حداً من الحدود المعلومة عند اهل الرسوم وان اختلفوا فى ذلك وحرم الواحد عين ما حلله الآخر فلا تتقلد هذا الرسمى فى شيء من ذلك ولا تخالفه واعمل ما توجه عليك فى وقتك مما فيه سلامتك واشتغل بنفسك شغلا كليا واهرب الى محل اجماعهم فان لم تجد اجماعا فكن مع اكثرهم فان لم تجد كثرة فكن مع اصحاب الحديث فى تلك المسئلة المطلوبة ، وقل ان يحتاج اهل الطريق الى مثل هذا لأنهم قد زهدوا فى الدنيا فقلت افعالهم فقل الحكم عليهم فاذا بدت لكم وفقكم الله حضرة الأحكام وتنزلات الشرائع ورأيتم خازنها جبريل عليه السلام فذلك اول اعلام تحصيل هذا المقام فان مد بين يديك هذا اللوح الذى يتضمن الأحكام فستعاين الأوضاع والشرائع الحكمية والنبوية وستعاين الأعصار والأماكن وستعاين الأحوال وستعاين توجه هذه الأحكام على الأحوال لقيامها بالأشخاص فينفذ الحكم فى الشخص للحال لا لعينه فاحفظ ما تراه .

واعلم ان جبريل لا ينزل على غير رسول يوحى ابدا ولا ينسخ شريعة فتعمل هناك فى وسيلة ورقيقة تكون من ذلك اللوح الى قلبك ان اردت تحصيل هذا المقام فستجد صورة جبريل وما هى بجبريل وهى مختصة بالأولياء فانظر اليها فان رأيتها ناظرة اليك فاعلم انك منهم وان لم تراها

ناظرة اليك فاعلم انك غير مراد لذلك المقام فتأدب و انصرف و كن من الأولياء الذين ما لهم تصريف واجعل بالك الى الحقيقة التى تراها على الصورة الجبرئيلية فسترى منها رقائق كثيرة ممتدة نافذة قد تجللتها تنزلات حكمية فانزل معها بعينك نحوا لكون الأسفل فستراها متصلة منها ما هى بقلوب الأفراد و منها ما هى بقلوب المجتهدين من علماء الرسوم فاذا عاينت هؤلاء الأشخاص آخذين منهم ما تعطيهم الأحكام بالأدب الكامل و سترى المجتهدين من علماء الرسوم عيونهم مصروفة الى افكارهم و افكارهم حائلة فى الوقائع و تلك الرقائق تندرج لهم فى الوقائع فتبدو لهم الأحكام من خلف حجاب رقيق فيقولون الحكم فى هذه المسئلة كذا لحقق الزمان و المكان و الحالّ من جميع وجوهه فسترى تلك الواقعة بعينها عند ذلك المجتهد بعينه قد رجع من ذلك الحكم الى حكم آخر فانظر الى الرقيقة فتجدها تهب على حسب الزمان او الحال او المكان و لهذا اختلفت معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء و خرق العوائد عند اربابها بالمكان و الحال و الزمان .

ثم انظروا وفقكم الله الى تلك الحقيقة التى على صورة جبريل التى بيدها ذلك اللوح هى الملقية لجبريل ما يلقى على الرسل صلوات الله عليهم وجبريل هو على الحقيقة على صورتها ، وانما عكسنا الأمر لمعرفتكم بجبريل دون معرفتكم بها ، ولهذا ينقل عن بعض العارفين انه يقول يتنزل جبريل على قلوب الأولياء للاشتراك فى الصورة والاحساس بالتنزل و لكن ما انصف ولا وفى صاحب هذا القول الحقائق حقها بل ما يقولها من له مثل هذا المقام ثم ارتفع بالنظر فى هذه الحضرة عن النظر لهذه الرقائق وانظر مراتب القوم فيها فستجد مرتبة الرسل من كونهم عارفين فأولياء لا من كونهم رسلا فوق المراتب البشرية كلها ثم ترى مدرجتهم من ذلك المقام الى ذلك اللوح الى القبول الى النزول بالحكم فتخلع عليهم خلع الرسالة عند هذا اللوح فينزلون بها فهم من كونهم اولياء عارفين ارفع

من كونهم رسلا فان الولاية و المعرفة تحصرهم فى بساط المشاهدة فى الحضرة المقدسة و الرسالة تنزلهم الى العالم الأضيق ومشاهدة الأضداد و مكابدة الأسماء الالهية القائمة بالفراعنة الجبابرة فلا شيء اشد عليهم من مقارعة الأسماء بالأسماء، و لهذا كان يقول صلى الله عليه و سلم بعد استعاذته من الأفعال و الأحوال اعوذ بك منك لشدة سلطان هذا المقام، و إذا شهدتم هذا يا اخواننا فانظروا الى حظ الورثة (١) من هذه الرسالة فى قوله عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء و قوله تعالى (و ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) فلهم الحكم فيها و إذا سمعتم لفظة من عارف محقق مبهمة و هو ان يقول الولاية هى النبوة الكبرى و الولى العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول فاعلم انه لاعتبار الأشخاص من حيث ما هو انسان فلا فضل و لا شرف فى الجنس بالحكم الذاتى و انما يقع التفاضل بالمراتب فالأنبياء صلوات الله عليهم ما فضلوا الخلق إلا بالمراتب، فالنبى صلى الله عليه و سلم له مرتبة الولاية و المعرفة و الرسالة و مرتبة الولاية و المعرفة دائمة الوجود و مرتبة الرسالة منقطعة فانها تنقطع بالتبليغ و الفضل للدائم الباقى و الولى العارف مقيم عنده و الرسول خارج وحالة الإقامة اعلى من حالة الخروج فهو صلى الله عليه و سلم من كونه وليا و عارفا اعلى و أشرف من كونه رسولا و هو الشخص بعينه و اختلفت مراتبه، لا ان الولى منا ارفع من الرسول نعوذ بالله من الخذلان، فعلى هذا الحد يقولها اصحاب الكشف و الوجود اذ لا اعتبار عندنا إلا للمقامات و لا نتكلم إلا فيها لا فى الأشخاص فان الكلام فى الأشخاص قد يكون بعض الأوقات غيبة و الكلام على المقامات والأحوال من صفات الرجال و لنا فى كل حظ شرب معلوم و رزق مقسوم فاجتهدوا وفقكم الله فى نيل هذا المقام و قد نبهتكم عليه و أظهرت لكم سبيله ونصبت لكم اعلامه و أقمت لكم معاذير علماء الرسوم فى احكامهم

---

(١) زاد فى "ر": الأنبياء.

و من اين مأخذهم فلا تطعنوا عليهم و لا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا و اشتغلوا بنفوسكم عما هم الخلق عليه حتى يأتى امر الله تعالى فعند ذلك يقف العارف به عند حده و الله المرشد لا رب غيره . انتهى بعض الغرض من هذا الكتاب فى بيان هذا المقام وكنت ما رأيت احدا من اصحابنا نبه عليه و لا ندب اليه بل منع ذلك اكثرهم لعدم الذوق فبقيت به وحيدا و بين اقرانى فريدا لا استطيع افوه به من اجل منكريه الى ان وقفت لأبي عبد الرحمن السلمى فى بعض كتبه عليه نصا و سماه مقام القربة فسررت بالمساعد الموافق و الحمد لله رب العالمين .

تم الكتاب على قدر الوقت لا على قدر الوارد و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، يتلوه كتاب الإعلام باشارات اهل الإلهام ان شاء الله تعالى .

تمت